

# سماحة العلامة الشيخ عبدالله سراج الدين الحسيني

المفسر المحمّد الداعيّة

١٩٢٤ - ٢٠٠٢ م

١٣٤٣ - ١٤٢٢ هـ

حلب - سوريا

بقلم: أحمد عز الدين ويسى

## مدينة حلب تودع شيخها

كان يوم الثلاثاء ٢١ من ذي الحجة، عام ١٤٢٢ هـ يوماً ليس كباقي الأيام، أبناء المدينة - بل وغيرها من المدن السورية - وقراها يزحفون زرافات ووحيداً نحو مسجد عبدالله بن عباس، رضي الله عنهما. ترى ما بال هذه الجموع تتجه صوب هذا المسجد؟ ثم ما بالها تسير هكذا متعثرة الخطا؟ يطبق الحزن على مواكبها ويجثم الضيق على صدورها، ويبدو الأسى في وجوهها... عشرات الآلاف يسرون ساهمين واجمين. إنهم يتجهون إلى هذا المسجد الكبير للصلاة على شيخ هذا البلد، وعالمها الكبير، وأستاذها الأول، الذي توفي مساء الاثنين، بعدما امتد مرضه حوالي أسبوعين، أكثر الناس فيهما من الدعاء، والتضرع، والابتهاج إلى الله تعالى طالبين منه سبحانه الشفاء، ولكن كان أمر الله تعالى قدراً مقدوراً، وجرى ما قدر الله بعلمه.

هذه الجماهير الزاحفة التي قدّرها بعضهم بمئات الألوف، لا تودع رجلاً واحداً، وما كان لها أن تخرج بعفوية وتلقائية من أجل رجل أو رجال، ولكنها خرجت لتودع أمة في رجل، أو رجلاً في أمة، وهنا لا يذكر

العدد، وإنما يذكر الأثر.

نعم إنه العلامة الكبير، الصالح المصلح، والداعي إلى الله تعالى على بصيرة، فضيلة الشيخ عبدالله سراج الدين الحسيني.

هذا العلم الذي طالما أحيا القلوب بروح العلم والمعرفة، وروح التقوى والعرفان.

كان درسه - رحمه الله - مظهرة ضخمة في أي مسجد من المساجد التي يلقي فيها دروسه، ألوف الناس تراها في (المسجد الأموي الكبير، أو مسجد بانقوسا)، جاءت لتروي نبتة الإيمان في قلوبها، ولتملأ صدورها من أريج العرفان،



■ سماحة الشيخ عبدالله سراج الدين الحسيني

وعقولها من بينات الفرقان، وحديث خير الأنام (ﷺ).

ومن عرف الشيخ، رحمه الله، عرف أن من أسرار الله تعالى في هذه الأمة المباركة صدق القول الذائع «كم ترك الأول للأخر».

كنت إذا حضرت مجلساً من مجالسه المباركة في منزله - إبّان اعتزاله الدروس العامة لمرضه، وهي مدة جاوزت أحد عشر عاماً - أقول: «كنت إذا حضرت أحد هذه المجالس، أشعر بأنني في حضرة إمام ربّاني من طراز أئمة من السلف الصالح، أمثال الفضيل بن عياض، وعبدالله بن المبارك، والحارث المحاسبي وأمثالهم» (رضوان الله تعالى عليهم).

حكّم تغمر النفوس، ونور ينفذ إلى الأعماق، وهيبة تأخذ بمجامع القلوب، وكلام كالسلسبيل يوضح فيه النهج السوي، والصراف القويم الذي يتحرق ليرى الأمة تسير عليه، ويتدفق علماً ومعرفة، ترى سرعة انتزاعه الشاهد لما يقول من كتاب الله تعالى، فلا تدري مم تعجب أمن جودة الاستدلال وجدته، أمن سرعة الاستحضار وسهولته، تراه يذكر آية كريمة في الموضوع الذي يتناوله، فتظن أنك تفهم هذه الآية - في كثير

## في المدرسة الخسروية

المدرسة الخسروية من أعرق المؤسسات التعليمية في بلاد الشام، وكان تنظيمها الجديد - آنذاك - قد نفخ فيها روحاً جديدة وكان يُدرّس فيها كبار العلماء في الشهباء، أمثال المؤرخ المحدث الشيخ محمد راغب الطباخ، والفقيه الضليع الشيخ أحمد الزرقا، والشيخ أحمد الشماع، والعالم الأصولي الشيخ محمد أسعد العبيجي، والشاعر المحب لرسول الله (ﷺ) الشيخ عيسى البيانوني، والشيخ فيض الله الأيوبي عالم المعقولات، وأمثالهم.

في هذه المدرسة المتألّقة، وبين أمثال هذه النخبة الفاضلة عاش الشيخ عبدالله سراج الدين ست سنوات، هي مدة الدراسة في هذا المعهد العلمي المتخصص، التي بدأت من عام (١٢٥٦هـ إلى عام ١٢٦٢هـ).

## ما بعد الخسروية

كاد الشيخ أن ينتهي من دراسته، في المدرسة الخسروية، وقبيل تخرجه بشهور قليلة (حوالي ثلاثة أشهر) جرى تعديل المناهج، وأُخِر الطلاب عن التخرج عاماً كاملاً لهذا الغرض، غير أن الشيخ فضّل الخروج من المدرسة لما في نفسه من نهمة علمية للتحصيل، لا يرغب أن يعوقها أي شيء، وأعرض عن الراتب المغربي الذي كان يحصله خريجوا طلاب الخسروية يومذاك.

لما ترك مدرسته، لازم غرفة والده الشيخ محمد نجيب في المدرسة الشعبانية، وعكف فيها على المطالعة والبحث والحفظ، فطالع من الكتب العلمية مطولاتها وأنفق وقته في التفتيش والتنقيب في أمهات المصادر، والكتب الضخمة، ولم يشغله البحث عن الحفظ، فقد وهبه الله تعالى، ذاكرة فذة أسعفت اندفاعه

## ترك الشيخ رحمه الله خمسة وعشرين مؤلفاً متنوعاً

أظفاره، ما لا يحصله غيره إلا بعد حين، لكن التلقي المنهجي للعلم يتطلب تفرغاً خاصاً وسيراً في مدارج المعرفة وفق المناهج التعليمية التي توارثتها الأمة خلفاً عن سلف.

فما أن بلغ سن التمييز حتى دفع إلى حلقة العالم الفاضل الشيخ الأديب محمد خير الدين إسبر، رحمه الله، فتعلم لديه مبادئ القراءة، والكتابة، والحساب، ونحو ذلك.

ثم انتقل إلى حلقة الشيخ عثمان المصري، رحمه الله، فتعلم تلاوة القرآن الكريم نظراً - أي قراءة من المصحف - ولما أتقن تلاوته، لازم الشيخ عبدالوهاب المصري، رحمه الله، فحفظ كتاب الله تعالى، ووعاه في صدره، ولم يتجاوز آنذاك الثالثة عشرة من عمره.

ولكن ماذا بعد أن حفظ كتاب الله تعالى؟

كان من ذوي النفوس الطيبة من الشبان، الذين يطمحون إلى ميادين علوم القرآن، والسنة، والفقه، والعربية، وما إلى ذلك من معارف، بعد تمكنهم من حفظ القرآن الكريم، ولم يكن يومذاك مدرسة تعدل المدرسة الخسروية، لا في حلب وحدها، بل في الشام قاطبة، فاتجهت أنظار الفتى عبدالله سراج الدين إلى هذه المدرسة، وكان له ما أراد، فانتظم في صفوف طلابها سنة (١٢٥٦هـ - ١٢٦٧م).

من الأحيان - لأول مرة هذا الفهم. أما إذا استرسل في ذكر الأحاديث النبوية الصحيحة، بألفاظها الواردة في دواوين السنة المطهرة، مع التنبيه في كثير من الأحيان إلى بعض الاختلافات في مرويات النص الذي يورده، أدركت أنك في حضرة محدث جليل يعيد للذاكرة أخبار الصدر الأول من أئمة الإسلام في سعة حفظهم ودقته.

نعم إنه الإمام الرياني الشيخ عبدالله سراج الدين، فقيه العلم والدعوة.

## مولده

ولد، رحمه الله، في مدينة حلب الشهباء، تلك المدينة العريقة، مدينة العلم والأدب، والرياضة في شمال غرب بلاد الشام عام (١٢٤٣هـ - ١٩٢٤م)، من والدين كريمين جليلين. فوالده، رحمه الله، هو علامة الشهباء في عصره الشيخ محمد نجيب سراج الدين، المتوفى سنة (١٣٧٣ - ١٩٥٣م). وقد أفرد شيخنا كتاباً خاصاً ترجم فيه لوالده، جاء في حوالي (٢٥٠) صفحة.

وأما والدته، فكانت من النساء الصالحات اللواتي تربين في بيوت التقوى والفضيلة، وقد وصفها الشيخ «بالصالحة التقية، الطاهرة الزكية»، وكان يقبل رجلها علي حين غفلة منها، براً بها، وإجلالاً لمقامها، واعترافاً بفضلها وتقواها.

ففي هذه الدوحة الطاهرة، تربى الشيخ عبدالله، وتغذى بلبان الفضل والأدب.

## طلبه للعلم

لا ريب أن من ينشأ في بيت رجل مثل الشيخ محمد نجيب سراج الدين، لا بد أنه يتلقى من مبادئ العلم والأدب، والتوجيه الحسن منذ نعومة



الشديد في حفظ الأحاديث النبوية، والآثار المروية، وهنا لا بد من وقفة لهذا الغرض.

### سعة حفظه وكيف كانت بداياته

عندما كان في الصف الثاني في المدرسة الخسروية، أجرى أستاذ مادة الحديث الشيخ محمد راغب الطباخ، مسابقة للطلبة في حفظ الحديث النبوي (وليت الأمة الإسلامية تغطن في يومنا هذا إلى أهمية إقامة مسابقات «حديثية»، على غرار المسابقات الناجحة، التي تقام لحفظ القرآن الكريم)، وكان فيمن تقدم إلى المسابقة، الطالب عبدالله سراج الدين، وكان آنذاك في الرابعة عشرة من عمره.

وفي يوم الامتحان، حضر ثلثة من أساتذة المدرسة وهم يومذاك علماء حلب، وتقدم الطلبة المشاركون، فسئل الطالب عبدالله سراج الدين عن حديث أم زرع، وهو حديث - كما يعلم كثير من القراء - يضم الكثير من الألفاظ الغريبة، فتلاه كاملاً، وباتقان كبير، وضبط حسن، أعجب مشايخ المدرسة أيماً إعجاب، وعلى رأسهم شيخه العلامة المحدث الشيخ راغب الطباخ الذي نزع عمامته من رأسه ووضعها على رأس هذا الفتى النابغ، فحرك هذا التكريم من الأستاذ ما لدى طالبه من معرفة، فقال لشيخه: «هل أشرح الحديث؟ فإزداد إعجاب الشيخ به، وقال متعجباً من هذا الطالب ومعجباً به: «لا تشرح الحديث، فأنا أخشى عليك من العين...».

وكان لهذا التكريم لهذا الشاب الصغير، أثره الكبير في تقوية رغبات



جامع ابن عباس - حلب

الكتاب من الشيخ نفسه، في منزله في حي الفرقان، ولم يشرح لنا كيف حفظه، ثم حدثني ولده الفاضل المهندس محيي الدين حفظه الله تعالى عن المدة، والكيفية المتقدمة.

وكتاب (التيسير) هذا من تأليف الحافظ الإمام أبي محمد وجيه الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد بن عمر بن علي بن يوسف العبدري الزبيدي المولود سنة (٧٦٦هـ)، والمتوفى سنة (٩٤٤هـ)، كما جاء في تاريخ (النور السافر) للعبدري، أما شهرته بابن الديبع، فذلك لأن جده الأعلى، علي ابن يوسف لقب به ومعناه كما أفاده الشوكاني في (البدر الطالع): «الأبيض» في اللغة

النبوية.

اختصر في كتابه (التيسير) (جامع الأصول) لابن الأثير الجزري، أبي السعادات المبارك بن محمد (ت: ٦٠٦هـ). و(جامع الأصول) هذا كتاب جمع فيه ابن الأثير ستة كتب: الكتب الخمسة المشهورة، وهي (صحيح البخاري) و(مسلم) و(سنن أبي داود) و(الترمذي) و(النسائي)، وزاد عليهم (موطأ مالك) رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

أما ما تعارف عليه الناس من اعتبار كتاب (سنن ابن ماجه)، سادساً، فهو أمر ابتكره الحافظ ابن طاهر المقدسي، وتابعه الحافظ عبدالغني، ثم الإمام المزني، ومنه شاع بين العلماء، وكان بعض الحفاظ والمحدثين قبل ذلك، يجعلون (الموطأ) عوضاً عن كتاب (ابن ماجه).

هذا الكتاب (التيسير) هو فاتحة الكتب الحديثية التي حفظها الشيخ

هذا الفتى في الاتجاه لحفظ الأحاديث النبوية.

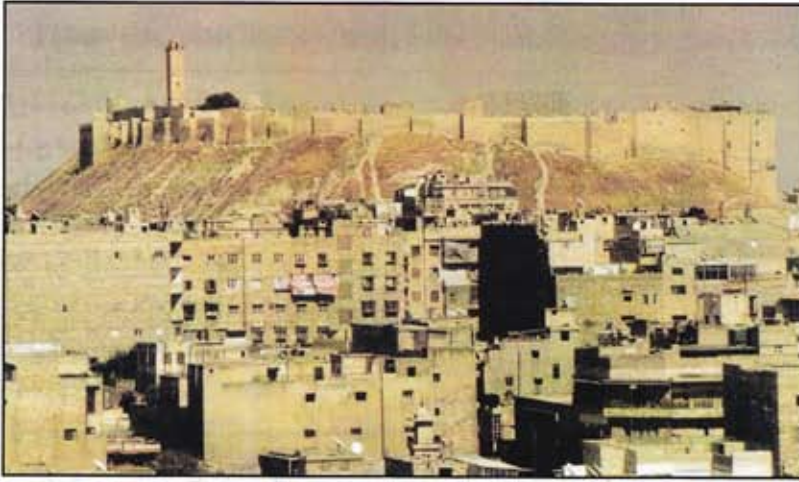
فليستغف المرءون من أمثال هذه القصة، وليدفعوا نوابغ التلاميذ إلى مسالك العلم والمعرفة بقليل من التكريم، وسيجدون أثره في مستقبل الطلاب، فالشيخ عبدالله بعد أن حظي بهذا التقدير، صرف ما لديه من وقت وطاقة لحفظ الحديث النبوي، فحصل كتاب «تيسير الوصول» للعلامة ابن الديبع الشيباني، وأقبل على حفظه.

يقع الكتاب في مجلدين، وكل مجلد في جزءين، فحفظ الجزء الأول في العطلة الصيفية الفاصلة بين الصف الثاني والصف الثالث، ثم حفظ الجزء الثاني في العطلة التالية وهكذا إلى أن أتم حفظ الكتاب كاملاً خلال إجازات الصيف الأربع.

### كلمة عن كتاب التيسير

أول ما سمعت عن حفظ الشيخ لهذا





■ الجزء القديم من مدينة حلب وفي أعلى الصورة تظهر قلعة حلب الشهيرة

ودرسه الآخر في جامع حلب الكبير، بعد الظهر من يوم الاثنين، وبقي على هذا المنوال إلى أن حصلت أحداث حلب المعروفة، عام (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م). فهاجر إلى المدينة المنورة، وبقي فيها حوالي ثلاث سنوات ونيف، ثم عاد إلى بلده، ليتابع نشر العلوم، والمعارف وتذكير الناس بالله تعالى، ودعوتهم إلى منهج رسول الله (ﷺ). لكنه بعد عودته اقتصر على درسي (الجامع الكبير)، وجامع (بانقوسا)، إلى أن منعه المرض في أواخر الثمانينات. جزاه الله عن بلده وعن أمته خير ما جرى العلماء الدعاة إلى الله تعالى.

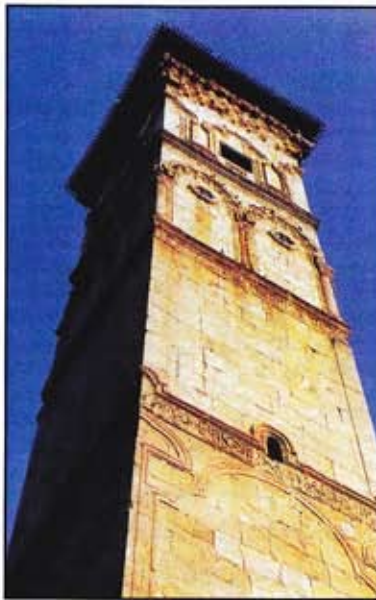
ومع هذه الدروس كلها، كان نشاطه في المدرسة الشعبانية لا يتوقف، ولا يهدأ، إشرافاً عليها، وتوجيهاً لأساتذتها وإدارييها، وتديراً لطلابها، والتقاء بزوارها، وأصحاب الحاجات يومياً، فقد كانت المدرسة تحظى بالقسم الأكبر من همه واهتمامه.

### المدرسة الشعبانية

وهنا لا بد من وقفة تعريف بالمدرسة الشعبانية، فقد جرى ذكرها أكثر من مرة.  
المدرسة الشعبانية من المدارس

(الدرجتين) وكان ذلك في حياة والده، وفي هذا العام (١٣٦٤هـ - ١٩٤٤م). تزوج، واستلم مسجد سليمان في حي (البياضة)، فكان يوم الناس فيه، ثم انتقل للتدريس في جامع (الحموي) فكان له كل يوم درس بعد صلاة الفجر، إلا يوم الجمعة، وبقي محافظاً عليه إلى أن هاجر إلى المدينة المنورة.

وكان له من الدروس أيضاً درسا والده - بعد أن تركهما لمرضه - في جامع (بانقوسا) في حي (باب الحديد)، بعد عصر يوم الجمعة،



■ مئذنة الجامع الأموي - حلب

عبدالله سراج الدين، ثم تتابع حفظه بعد ذلك، فحفظ المسند للإمام أحمد، والترغيب والترهيب للحافظ المنذري، وغير ذلك من الكتب، ولقد قدرت محفوظاته نحو (مائة ألف حديث)، وقد أكد أنجاله الكرام، وهم من أهل العلم والفضل، هذا الرقم، وقد يعجب الناس في عصرنا هذا - عصر تقاصر الهمم، وفشو الكسل - من هذا الحفظ وكثرت، ولكن من يطالع سير المحدثين الكبار، يجد أن عدد محفوظاتهم بلغت مئات الألوف. انظر على سبيل المثال ترجمة الإمام أحمد بن حنبل، والبخاري، وأبي زرعة، وأمثالهم، وعندئذ ستقضي عجباً منا نحن لم نكن مثل هذا الطراز من الأمة؟

### محفوظاته من العلوم الأخرى

كان قد عرف ما أعطاه الله تعالى من قوة في الحفظ، فاستغلها أحسن استغلال، فمنذ أن كان طالباً في الخسروية، قررت المدرسة على طلابها حفظ (٣٠٠) بيت من ألفية ابن مالك، - رحمه الله - في النحو والصرف، فحفظها بأكملها، وكان يكثر من حفظ المتون العلمية تبعاً للقاعدة الشائعة (من حفظ المتون حاز الفنون) فحفظ كتاب (مجموع المتون) وهو مجلد يضم حوالي ستين متناً فيم أنكر، منها: الجوهرة في التوحيد، والبيقونية في المصطلح، وكان يحفظ البردة للبوصيري - رحمه الله - ويترنم بها لنفسه أحياناً.

### نشاطه في الدعوة والتعليم

بعد أن أكمل سنتين في خلوته العلمية والروحية في المدرسة الشعبانية، باشر التدريس العام في مسجد من مساجد (الجلوم) أحد أحياء حلب القديمة، عرف بمسجد (أبو



العلمية الشرعية العريقة في حلب، تقع في حي (الفرافرة)، وهو حي قريب من قلعة حلب، سميت المدرسة بهذا الاسم نسبةً إلى بانيها شعبان آغا بن أحمد آغا، وهو رجل تركي ثري من رجالات الدولة العثمانية العاملين في حلب، وكان بناؤه لها سنة (١٠٨٥هـ).

وكان حال هذه المدرسة حال مدارس حلب في أواخر العهد العثماني من ضعف، وفوضى، ونحو ذلك، ثم تعرضت المدرسة بعد عام (١٣٤٠هـ)، إلى أكثر من محاولة للنهوض بها، فكانت تنجح مدة يسيرة، ثم تعود الأمور إلى ما هي عليه من مشكلات، حتى أنشئت جمعية التعليم الشرعي برئاسة الشيخ عبدالله سراج الدين، فاستلمت الجمعية المدرسة، وكان من توفيق الله تعالى، استمرارها في العطاء، ونجحت الجمعية بالنهوض بالمدرسة والإبقاء عليها منبراً من منابر العلم، ولا ريب أن الفضل الأكبر يعود إلى فضيلة الشيخ، ولا يماري في هذا اثنان، وكانت أول دفعة تخرجت فيها سنة (١٩٦٢م). وما زالت قائمة بواجبها الديني التعليمي إلى أن توفي الشيخ، رحمه الله، وستبقى، بإذن الله، سائرة في سبيلها الذي خطه الشيخ، تنير للمسلمين أمور دينهم ودنياهم. ويشرف عليها الآن، نجل فقيدنا الراحل الدكتور الشيخ محمد نجيب، وهو عالم فاضل، يحمل شهادة الدكتوراه من الأزهر الشريف في الفقه المقارن.

وقد خرجت المدرسة الشعبانية المنات من طلاب العلم منذ أن تولاها الشيخ حتى يومنا هذا، كما خرجت أختها مدرسة تحفيظ القرآن

الكريم عدداً كبيراً من حفَاز كتاب الله تعالى.

### مدرسة تحفيظ القرآن الكريم

إضافة إلى المدرسة الشعبانية التي تعنى بتعليم الفقه، والحديث والتفسير، والعربية، ونحو ذلك، أنشأ الشيخ عبدالله مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم في مبنى قريب من المدرسة الأولى.

تهتم هذه المدرسة بأمرين اثنين: الأول:

تحفيظ القرآن الكريم كاملاً، مع الضبط والاتقان، ومعرفة أحكام التجويد.

الثاني:

تعليم من حفظ القرآن الكريم (القراءات) وحفظها وفق منهاجي (الطيبة) و(الشاطبية)، وتلزم هذه المدرسة طلابها بالدوام ساعتين يومياً، والجدير بالذكر أنها لا تشترط لقبول الطلاب سناً معيناً، أو شهادة خاصة، فطلابها على مستويات متعددة، فيهم من يحمل الابتدائية، وفيهم خريجو الجامعات، وفيهم من هو في الخمسينيات من عمره، وفيهم من هو دون العشرين، الشرط الوحيد الذي تشدد فيه، الالتزام بالدوام وتحقيق النجاح نهاية العام.

وقد استوعبت هذه المدرسة نخبة علماء القراءات في المدينة، وسهلت للطلبة الالتقاء بهم، والاستفادة من علومهم.

فرحمة الله تترى على العلامة الصالح الشيخ عبدالله سراج الدين، وعضو الأمة عن فقده.

### مؤلفاته

ترك الشيخ سراج الدين خمسة وعشرين مؤلفاً، تدور في العقائد والتربية، والأخلاق، ونحو ذلك من قضايا علمية ومعرفية، تهتم أمر

المسلمين.

١ - ففي العقائد كتب الشيخ ثلاثة

كتب:

أ - شهادة لا إله إلا الله، سيدنا محمد رسول الله.

ب - الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها، وقد أحسنت مجلة «منار الإسلام»، إذ نشرت مقالاً تعريفاً بهذا الكتاب، في عدد شعبان ١٤٢٢هـ.

ج - الإيمان بالملائكة (عليهم السلام).

٢ - وفي علوم القرآن الكريم والتفسير

أ - هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان.

ب - هدي القرآن الكريم إلى معرفة العوالم، والتفكير في الأكوان.

ج - تلاوة القرآن المجيد - فضائلها - آدابها - خصائصها. وله ثمانية كتب في التفسير:

١ - حول سورة الفاتحة.

٢ - سورة الحجرات.

٣ - سورة ق.

٤ - سورة الملك

٥ - سورة الإنسان.

٦ - سورة الكوثر.

٧ - سورة اقرأ باسم ربك.

٨ - سورة الإخلاص والمعوذتين.

٣ - في السيرة النبوية (الشمائل)

وله في الشمائل المحمدية كتاب جليل، كان أول مؤلفات الشيخ، سماه (سيدنا محمد رسول الله، خصاله الحميدة، شمائله المجيدة).

وقد نشرت مجلة «منار الإسلام» الغراء، مقالاً يعرف بهذا الكتاب في عدد ربيع الأول ١٤١٦هـ - العدد الثالث - السنة الحادية والعشرين.

٤ - في علوم الحديث

وله كتاب واحد، في علم مصطلح الحديث، شرح فيه المنظومة البيقونية.





■ جانب من منزل حليبي قديم

رحمة الله تعالى عليه - ووصل إلى الأسماع، حتى يبادر كثير من أهل العلم والفضل ممن يعرف قدر هذا الشيخ، رؤية أو مخالطة أو سماعاً، إلى إظهار أسفهم وحزنهم على فقده، وقد كثرت (الفاكسات) المعبرة عن ذلك، وسارع كثير من أهل العلم والفضل - في مدن عديدة - إلى الصلاة عليه صلاة الغائب، حصل ذلك في مكة المكرمة، والمدينة المنورة والكويت، والبوسنة والهرسك، وغير ذلك من البلدان.

وأقيمت مجالس العزاء في المدينة المنورة ومكة المكرمة، والكويت، والبوسنة وغيرها من البلدان. وفي مجلس العزاء الذي أقيم في مدينة رسول الله (ﷺ) وصفه ثلة من علماء المدينة المنورة بأنه «إمام المسلمين في العلوم الشرعية وكبير أولياء الأمة في هذا العصر».

كما أقامت كلية الشريعة في جامعة دمشق مجلساً تأبينياً للشيخ تحدث فيه بعض الأساتذة الأفاضل مثل الدكتور العلامة الفقيه المعروف وهبة الزحيلي، والدكتور الشيخ نورالدين عتر، رئيس قسم التفسير والحديث في الجامعة.

كما أثنى عليه الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في دروسه وذكر الناس بعظيم فضله، وجلالة قدره.

وأما في الفضائيات، فقد عزى الأمة بفقيدها عدد من العلماء والأساتذة، وعلى رأسهم الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي في برنامجه المشهور «الشرعية والحياة» في قناة «الجزيرة».

كما نظم عدد من الشعراء قصائد غراء في رثائه، وذكر مناقبه، فشكر الله للجميع مشاعرهم الفياضة، وجهودهم الطيبة في هذا الموقف، ولكن حم القضاء فماله من دافع، وجرى القدر فهل له منازع؟ ● ●

وكتابه هذا من أيسر وأفضل الكتب التي بسطت هذا العلم الشريف، وهو كتاب منهجي مدرسي ألفه الشيخ للطلبة، وهو مقرر في عدة معاهد شرعية، حظي بقبول المدرسين والباحثين في هذا العلم الجليل.

٥- باقي مؤلفات الشيخ هي:  
أ - الهدي النبوي، والإرشادات المحمدية.

ب - التقرب إلى الله تعالى.  
ج - الصلاة على النبي (ﷺ)، وهو مفيد جداً في بابه.

د - صعود الأوقال، ورفع الأعمال.  
هـ - الدعاء.  
و - ترجمة العلامة الشيخ نجيب (والد الشيخ).

ز - الصلاة في الإسلام.  
ح - مناسك الحج.  
ط - أدعية الصباح والمساء.

كما ترك الشيخ مسودات دروسه التي كان يلقيها طوال حياته في المساجد المختلفة، وفي هذه المسودات مئات الفوائد، والنفائس والأبحاث العلمية الماتعة، ونأمل من الله تعالى أن يوفق أنجاله الأفاضل لتبويضها، وتهذيبها، وتقديمها إلى الأمة، ليحصل النفع بها بإذن الله تعالى.

أما عن منهج الشيخ في كتبه، فهو منهج توفيق بين المدارس الإسلامية المتخالفة، وهو مع ذلك أقرب لمنهج المحدثين. وشرح ذلك وبيانه لا يتسع له هذا المقال.

### صور من ورعه وعبادته

كان على جانب عظيم من الورع والعبادة، فكان يكثر من تلاوة القرآن الكريم، وللأوراد جانب واضح في حياته. وكان يوصي بذلك وينصح بالتهجد، ويحض على التعبد لله تعالى. ولا ريب أنه كان يتحلى بما يأمر به، والحديث عن ذلك يطول، وسأكتفي منه بثلاثة صور تدل على

عبادته وورعه.

١ - تزوي زوجته الفاضلة حفظها الله وعافاها، أن الشيخ ما ترك التهجد قط، حتى في الليلة التي نقل فيها إلى المستشفى، في مرضه الأخير، فقد قام إلى التهجد على عادته، فاشتد عليه الألم وأخبرني ولده الأستاذ محيي الدين، أن قيامه إلى التهجد كان قبل الفجر بساعة أو ساعة ونصف الساعة.

٢ - رأيت رجلاً يسأل الشيخ عن مسألة فقهية تتعلق بالحج في ذلك الوقت، فطلب منه الشيخ مراجعته بعد ذلك، لأنه لا يستحضر جواب هذه المسألة وهذا الورع في الفتوى من أخلاق العلماء العاملين، كما لا يخفى، نسأل الله أن يكرمنا بالتخلق به، وأن يجعلنا منهم، أو من السائرين في دروبهم أمين.

٣ - اغتتاب رجلٌ عنده أحد المشايخ، فتركه شيخنا في غرفة الضيوف، وخرج منها، كرهاً بالغيبة وخاصة غيبة أهل العلم.

جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم

بعد الممات جمال الكتب والسير

### من مظاهر حزن المسلمين على هذا الشيخ

ما إن ذاع خبر وفاة الشيخ -